الهُوية الإفريقية في الكتاب المصوَّر في أدب الطفل الإفريقي الأمريكي (نشأته ـ تطوره)

أ. رشا منير

تصميم وإخراج الرسوم المتحركة ـ الهيئة الوطنية للإعلام

مقدمة:

أدب الأطفال الإفريقي، هذا النوع من الأدب، يساهم بشكلٍ كبيرٍ في دراسة المجتمع الإفريقي على المستوى العالمي وليس على مستوى قارة إفريقيا فحسب، هناك القصص الشعبي، والقصائد والكتب المصورة، التي تعكس تفاعل الإنسان مع ماضيه وحاضره.

والكتاب المصوَّر ضروري لكل طفلٍ؛ ليصبح قارئًا له في أى مكان في العالم: الكتاب من بلده، والكتاب من البلدان الأخرى قدر المستطاع، وتلقى الصور المتنوعة تقديرًا كبيرًا في شرح الكلمات والتعبير عنها بشكلٍ جذَّابٍ وواضح أكثر من الكلمات في بعض الأحيان.

وحتى أواخر القرن العشرين، كان الافتقار لهذا النوع من الفنون المُقدَّم للطفل في القارة السمراء؛ نتيجة للاستعمار تعقبه الحروب الأهلية والتوترات والظروف الاقتصادية والاجتماعية لكثيرٍ من البلاد الإفريقية، مما فرض العديد من الأمور التي تتحكم في الكتاب المصوَّر، على رأسها اللغة المُقدَّم بها.

وبدراسة نشأة الكتاب المصوَّر في أدب الأطفال الإفريقي، وجِد أنه لم يبدأ من إفريقيا، حيث يبدأ الكثير أبحاثهم، وإنما بدأ من أمريكا حيث إصرار المجتمع الإفريقي- الذي وُلد في أمريكا من آباء وأجداد نُقِلوا إليها عنوة- على الحفاظ على هويتهم ونقل تراثهم من جيلٍ إلى جيل، وفرضوا ثقافتهم على المجتمع الأمريكي، ومن ثم ظهر نوع الأدب المسمى "الأدب الإفريقي الأمريكي-African-American Literature".

قدَّم أدب الطفل الإفريقي الأمريكي نموذجًا رائعًا في الحفاظ على هوية المجتمع الإفريقي وذات الإنسان نفسه، بدأها بنشر تراثه الذي حمله من جيلٍ إلى جيل، ثم قدَّم معاناته والظلم والصراعات التي كانت معه، ثم فرض هويته على الآخرين بكل القيم الأخلاقية الراقية من مبادئ التسامح والترابط وقبول الآخر؛ ليقدم أحلام الطفل الصغير وطموحه ويعبّر عن ذاته.

وسنتناول في هذا البحث النقاط التالية:

- ماهية أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.
- نشأة أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.
- الملامح الأساسية للحكايات الشعبية في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.
- حكايات "العم ريموس- Uncle Remos".
- رواد الكتابة في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.
- البراونيز- The Brownies' Book .
- ما بعد رواد أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.
- سمات الكتابة في أدب الاطفال الإفريقي الأمريكي.
- سمات الرسوم في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي.

ماهية أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي:

هو أدب يُكتب عن الأطفال الأمريكيين من أصل إفريقي، أو يُكتب من قِبَل الكُتّاب الأمريكيين من أصلٍ إفريقي، والغرض من هذا التميّز في التعبير احترام الذات الإفريقية التي فرضت ثقافتها بقوة على المجتمع الأمريكي التي نُقلت إليه عنوة تحت قسوة الاستعمار، ومن أجل إعطاء صورة ذاتية إيجابية ترسخ قيم التعايش وقبول الآخر في مجتمعٍ عاش فتراتٍ طويلة من العنصرية والتمييز.

بالنسبة للكتّاب، فقد ولِدوا في أمريكا ولكنهم حملوا ثقافة آبائهم وأجدادهم الذين ولِدوا في إفريقيا، ولهذا كانت لهم قيمهم الراسخة وتراثهم من حكاياتٍ وعاداتٍ وتقاليد، كما لهم هَوية خاصة بهم في الملبس والمأكل واللون وطرق العيش والعلاقات، على سبيل المثال لا الحصر، وما زال بداخلهم رؤية خاصة مثالية لوطنهم الأم.

وبالنسبة للأطفال، فهم هؤلاء الذين ولِدوا ويعيشون في المجتمع الأمريكي، ولكنهم يتميزون عن باقى أفراده في الملمح وربما بعض العادات الخاصة بهم، وقد يشعرون في كثيرٍ من الأحيان بالاختلاف، فتنشأ التساؤلات والإحساس بالغربة أو الرغبة في إثبات الذات والتعبير عنها، كما لهم أحلامهم الخاصة وطموحهم أيضًا.

ولهذا فإن هذا النوع من الأدب يختلف في توجهه عن أى أدب موجَّه للطفل بشكلٍ عام، فهو إما الغرض منه أن يرسخ الثقافة الإفريقية أو ينقلها للجيل الذي لا يعرفها، أو يرسخ

قيم التعايش وقبول الآخر في مجتمعٍ عانى من التمييز وربما مازال البعض منهم يعاني حتى الآن، كما يُعرف الآخرون بالهوية والذات الإفريقية نفسها.

ونحن هنا بصدد لفت الانتباه إلى هذا النوع من الأدب المهم في أدب الطفل بشكلٍ عام، وأدب الطفل الإفريقي بشكلٍ خاص، حيث إن كل التوجهات غالبًا ما تكون تجاه القارة السمراء عند الحديث عن الطفل الإفريقي والأدب الخاص به، غير منتبهين لأهمية الدور الذي يلعبه الكُتّاب الأفرو-أمريكيين وتأثر الغرب بهم وبثقافتهم التي توجه الأنظار إلى إفريقيا للأرض والإنسان معًا.

نشأة أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي:

عندما وصل الإفريقيون إلى العالم الجديد في أمريكا في ١٧٠٠ و١٨٠٠ ميلاديًا، جلبوا معهم تقاليد شفاهية كثيرة، وبدأ الأدب الإفريقي يظهر مع الحكايات الشعبية الإفريقية التي كان يحكيها الكبار لأطفالهم أثناء الترفيه ليلاً بعد عمل شاق طوال اليوم، من خلال الغناء والرقص ورواية القصص كوسيلة للتعبير عن أنفسهم كما اعتادوا في الوطن الأم.

وكانت تتضمن حكايات عن خَلْق العالم والأعمال البطولية والسحر، وأخذت هذه القصص شكل الأمثال التي تنقل المبادئ السامية والأخلاق الحميدة إلى الأجيال المتتالية، ثم تطورت تفاصيل وشخصيات القصص بمرور الوقت في الأمريكتين، وعلى الرغم من استمرار العديد من الإضافات، فإن تلك الحكايات المنقولة من إفريقيا احتفظت بنكهة مميزة خاصة بها.

أبقى هذا التقليد الشفوي الحكايات الشعبية الإفريقية على قيد الحياة رغم قسوة الظروف التي كان يعاني منها الإفريقيون في ذاك الوقت، إلا أنهم استطاعوا الحفاظ على قيمهم الموروثة وثقافتهم رغم بعد المسافة بعد وطنهم الأصلي ووطنهم الجديد، وساعد هذا على ترسيخ هويتهم عبر الأجيال التالية، حيث كان يستحدم أنماطًا وهياكل مرنة تساعد على التكوين والذاكرة وإعادة الأداء، وغالبًا ما يشارك الجمهور في الأداء أيضًا.

الملامح الأساسية للحكايات الشعبية في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي:

لم تكن الحكايات الشعبية من أجل الحفاظ على الثقافة الإفريقية ونشرها فقط، ولكنها كانت تعطي شيئًا من الراحة من صعوبات الحياة القاسية في ذاك الوقت وقسوة الظروف

والعمل، كما شجَّع تقليد رواية القصص الشعور المجتمعي في كونه أحد الأنشطة القليلة التي لم يسيطر عليها الأمريكيون البيض.

على الرغم من أن الحكايات الشعبية عكست عدم اليقين في الحياة للأمريكيين الأفارقة وقتئذ، فإنها قدمت أيضًا رسالة الاستقرار والضمان.

استخدم الإفريقيون الحكايات الشعبية في بعض الأحيان لتمرير معلوماتٍ مشفرة حول أماكن الاجتماع أو الهروب من الخطط لبعضهم البعض.

كانت صورة الأم الموجودة في بعض القصص، على سبيل المثال، تمثل الحنان والخير، في حين صورة الطفل تمثل النقاء والبراءة.

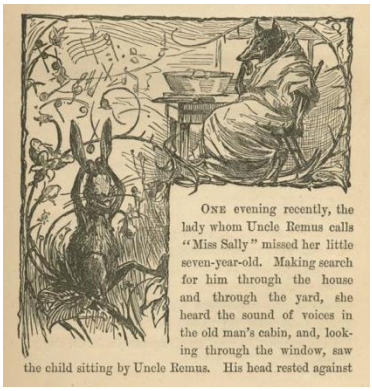
ONE evening recently, the lady whom Uncle Remus calls "Miss Sally" missed her little seven-year-old. Making search for him through the house and through the yard, she heard the sound of voices in the old man's cabin, and, looking through the window, saw the child sitting by Uncle Remus. His head rested against

واستخدمت الرمزية من خلال قصص الحيوان، وهى من الأساليب الشائعة في الحكايات الإفريقية، وأكثر ما يميزها إضافة إلى الطيور والزواحف والحشرات، تلك الحكايات- مثل "لماذا السحلية غالبًا تنام- Why the Lizard Often Nods"و"لماذا لا تنام البومة أبدًا في الليل- Why the Owl Never Sleeps at Night"، حيث التسلية والمرح وتفسير طبائع الكائنات التي تميز إفريقيا الوطن الأم بالنسبة لهم وما زالوا يحتفظون به في ذاكرتهم.

وهناك نوع آخر من القصص بها العديد من الرسائل المخفية، ويقدّم التوجيه الأخلاقي مثل "تابين، السلحفاة البرية- Tappin, the Land Turtle" وهى ترمي إلى وحشية العبودية من خلال الحيوانات، وتشرح كيف أن الأمل والفكاهة يجعل الظروف أكثر احتمالاً.

وهذا الأسلوب غير المباشر في التعبير عن حالهم المجتمعي على لسان الحيوان كان الأنسب وقتذاك.

كما ظهرت حكايات "العم ريموس- Uncle Remos"، وهو شخصية خيالية لرجلٍ حر عجوز لطيف كراوٍ لمجموعة من الحكايات الشعبية الأمريكية الإفريقية.

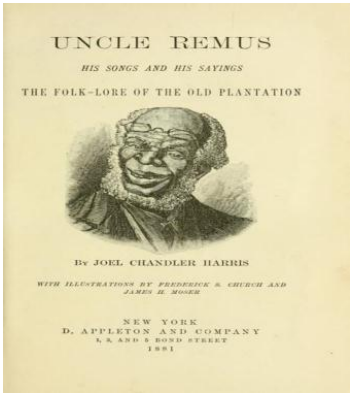

حكايات "العم ريموس- Uncle Remos":

هى عبارة عن مجموعة من قصص الحيوانات والأغاني والفولكلور الشفوي التي تم جمعها من الأمريكيين من أصل إفريقي الذين قطنوا وعملوا في مزارع الجنوب الأمريكي، وأُعيد تحريرها كقصص للأطفال من قِبَل الصحفي الأمريكي "جويل تشاندلر هاريس- Joel Chandler Harris (١٨٤٥- ١٩٠٨)"، ونُشِرت في كتابٍ لأول مرة بعنوان "العم ريموس أغانيه وأقواله: الفولكلور في المزرعة القديمة- Uncle Remus, His Songs and His Sayings: The Folk-lore of the Old Plantation." عام ١٨٨١ ميلاديًا.

ويلقي "العم ريموس" الحكايات الشعبية مثل "جريوت- griot"[١] للأطفال الذين تجمعوا حوله، والعديد من قصصه تعليمية.

ويعتبر "برار الأرنب- "Br'er Rabbit"[٢] الشخصية المحورية التي يروي "العم ريموس" قصصه من خلاله، ويعبر عن شخصية محتال ينجح بذكائه المرح وليس بعضلاته، حيث إنه الكائن الأصغر والأقل قوة يتغلب على الكائن الأكبر والأقوى مثل "الثعلب- Br'er Fox" و"الدب- Br'er Bear"، ويستفز شخصيات السلطة ويتحايل على الأعراف الاجتماعية في الوقت الذي يناسبه ليكسب جولته.

جمع هاريس ستة مجلدات من قصص العم ريموس بين ١٨٨١ و ١٩٠٧، وتم نشر ثلاثة كتب أخرى بعد وفاته عام ١٩٠٨، وهى:

١. العم ريموس: أغانيه وأقواله، ١٨٨١.
٢. ليالي مع العم ريموس، ١٨٨٣.
٣. العم ريموس وأصدقاؤه، ١٨٩٢.
٤. طفل القطران وقصائد أخرى للعم ريموس، ١٩٠٤.
٥. أقوال العم ريموس: قصص جديدة للمزرعة القديمة، ١٩٠٥.

---

[١] . شخصية معروفة في غرب إفريقيا، يعتبر مؤرخًا أو راوي قصص، مغني مديح، شاعرًا أو موسيقيًا. ويعتبر مستودعًا للتقاليد الشفوية، وغالبًا ما يُنظر إليه على أنه قائد بسبب منصبه كمستشارٍ لدى الشخصيات الملكية.

[٢] . تعني "Brother Rabbit" أى الأخ باللهجة الأمريكية.

٦. العم ريموس و برار الأرنب، ١٩٠٧.

٧. العم ريموس والصبي الصغير ،١٩١٠.

٨. عودة العم ريموس، ١٩١٨.

٩. سبع حكايات للعم ريموس، ١٩٤٨.

رواد الكتابة في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي:

وحيث تشير الأبحاث إلى أن أدب الأطفال الأمريكيين من أصل إفريقي لم يظهر حتى تسعينيات القرن التاسع عشر، تعتبر السيدة "إميليا إي. جونسون- Amelia E. Johnson"- كاتبة أمريكية، أول من كتبت عن الأمريكيين من أصل إفريقي، وقد كتبت روايتها "كلارنس وكورين- Clarence and Corinne "، أو"طريق الله- God's Way" في عام ١٨٩٠ ميلاديًا، ولم تكن كتاباتها ممتعة، إنما تعتمد على تعليم الطاعة والأخلاق الحميدة للأطفال من أجل تحفيزهم على تحقيق فضائل الطبقة الوسطى المستقرة من خلال العمل الجاد و المثابرة .. تغلب كلارنس وكورين، اللذان كانا أخًا وأختًا، على بدايات الفقر المدقع وحصلوا على تعليم وحققوا الاحترام، وتزوج كلٌّ منهم وحقق وضع الطبقة الوسطى، والرواية لا تنتمى لأى عِرق.

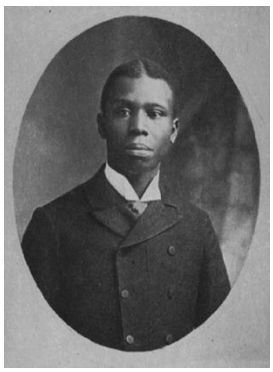

أما مجموعة "بول لورانس دنبار- Paul Laurence Dunbar (١٨٧٢-١٩٠٦)"، قصيدة "طفل بنى صغير- Little Brown Baby"، التي نُشرت لأول مرة في عام ١٨٩٥ ميلاديًا، فهى الأكثر مناسبة لأول كتاب؛ لأنها كُتبت من قِبَل أمريكي من أصلٍ إفريقي بلهجة الأمريكيين الأفارقة المرتبطة بالجنوب الأمريكي.

- البراونيز- The Brownies' Book:

تعتبر "البراونيز" أول دورية (مجلة) خاصة للأطفال والناشئة الأمريكيين من أصلٍ إفريقي الذين تتراوح أعمارهم بين ٦ و١٦ عامًا، وذلك في عام ١٩٢٠ ميلاديًا، وكانت

تصدر شهريًا حتى ديسمبر ١٩٢١ ميلاديًا، ويشار إليها على أنها "لحظة مهمة في التاريخ الأدبي" لتأسيس أدب الأطفال الأفارقة في الولايات المتحدة الأمريكية.

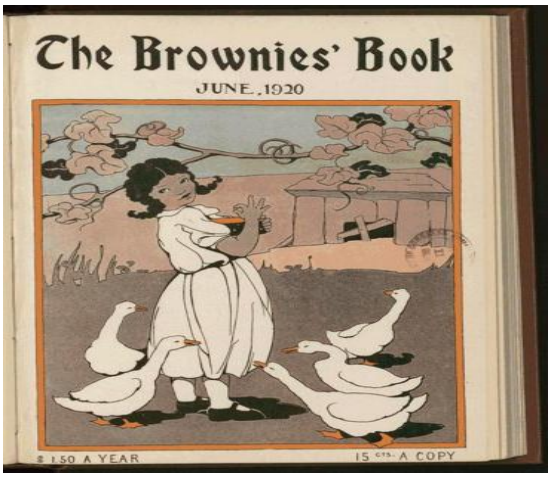

أُسست من قِبَل ثلاثة أشخاص: رئيس التحرير "دبليو إي بي- دوبوا- W. E. B. Du Bois"، ومدير الأعمال "أوجستس جرانفيل ديل- Augustus Granville Dill"، والمحرر الأدبي "جيسى ريدمون فاوست- Jessie Redmon Fauset"، حيث تم عرض القصص الشعبية والشعر والسير والخيال والدراما والمقالات الإخبارية التي تم تصميمها لتعليم الأطفال وتوجيه آبائهم.

كان أحد أهداف المجلة هو تبديد "الصور النمطية المخيفة" لـ "القارة المظلمة"، وهو مصطلح مستخف يُستخدَم لإفريقيا وشعبها.

يعتقد "دوبوا" أنه يجب تعليم الأطفال هويتهم العرقية ووضعهم الاجتماعي. واسم المجلة مشتق من "البراوني- Brownie"، وهى مخلوقات من الفولكلور البريطاني، يقال إنهم يكملون الأعمال المنزلية في الليل مقابل الطعام، وهذا تلميح إلى استخدام الأمريكيين الأفارقة كخدم، ويستخدم المصطلح كدلالة في "الأدبي التاريخي القمعي السياق".

وعلى وجه التحديد، أراد منشئو المجلة جَعْل الأطفال الملونين يدركون أن "اللون" هو شيءٌ جميلٌ طبيعي.

وكان لكُتّاب "البراونيز" الحقيقيين أهدافًا سبعة، هي:

١. جعْل الأطفال الملونين يدركون أن "اللون" أمرٌ طبيعي وجميل.

٢. تعريفهم بتاريخ وإنجازات العِرق أسود اللون.

٣. جعلهم يعرفون أن الأطفال الملونين الآخرين قد كبروا وأصبحوا أشخاصًا ذوى جمالٍ ومنفعة ومشهورين.
٤. تعليمهم قيمة الشرف وبساطة التفاعل في علاقاتهم مع الأطفال البيض.
٥. تحويل آلامهم واستيائهم الصغير إلى طموحٍ وحب لمنازلهم ورفاقهم.
٦. توجيه انتباههم إلى أفضل طرق التسلية والمتعة وأشياء الحياة التي تستحق العناء.
٧. إلهامهم للتحضير لمهن وواجبات محددة بروح واسعة من التضحية.

ما بعد رواد أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي:

لم تتوقف الحركة الأدبية للطفل الإفريقي الأمريكي منذ بدايتها في أواخر القرن التاسع عشر، وإنما تطورت الكتابات وتحررت من الكثير من القيود رويدًا رويدًا، حتى أصبحت في عصرنا الحالى تتواكب مع روح العصر الذي نعيش فيه وتقدم كل ما يمكنها من أفكارٍ وأفرع مختلفة تاريخية كانت أو ترفيهية أو اجتماعية أو إعلامية أو فنية وغيرها.

وبين ١٩٣٠ و١٩٤٠ ميلاديًا، ساهم عديدٌ من المؤلفين الأمريكيين من أصل إفريقي في تطوير الحركة الأدبية للطفل في الأدب الإفريقي الأمريكي، ومنهم ـ على سبيل المثال ـ "كارتر وودسون- Carter G. Woodson (١٨٧٥- ١٩٥٠)" الذي كان له دورٌ في التأثير الإيجابي في أدب الأطفال الأمريكيين من أصل إفريقي، فقد أسس مؤسسته " Associated Publishers"، وأشار إلى أن التعليم في عصره لم يكن لصالح الأمريكيين الأفارقة، وأنهم بحاجة إلى تحوّل كامل، مضيفًا أنه من أجل تحقيق ذلك كانت هناك حاجة أيضًا إلى كتبٍ نصية جديدة خالية من الأيديولوجية العنصرية، والأهداف، والتقنيات، وقد تم تحقيق بعض أهدافه وغاياته من خلال نشر مختارات الشعر، والسير الذاتية، ومجموعات الفولكلور والتاريخ، التي كانت تهدف إلى التعليم والتحرير والترفيه.

من ١٩٤٠ وحتى ١٩٧٠ ميلاديًا، تم دفع أدب الأطفال الأمريكيين من أصلٍ إفريقي إلى التيار الرئيس، بقيادة المؤلف "أرنا بونتومبس- Arna Bontemps (١٩٠٢ – ١٩٧٣)"، حيث يمتد نطاق عمله الواسع على مدى جيلين، وقد شملت أعماله (١٦) رواية وسيرة ذاتية ومختارات شعرية وتواريخ وحكايات شعبية.

كان دور "أرنا بونتومبس" له أهمية خاصة جدًا؛ لأنه يعمل على دَمْج أدب الأطفال الأمريكيين الأفارقة في التيار الرئيس، وكان يحتفل بالثقافة الشعبية الأمريكية الإفريقية وأنماط اللغة في عمله.

من أعماله "بوبو وفيفينا- Popo and Fifina (١٩٣٢)"، أول كتاب من كتبه العديدة للطفل، كتاب رحلات للأطفال، قدم القراء إلى حياة هايتي من خلال وصف حياة صبي يُدعى بوبو وشقيقته فيفينا.

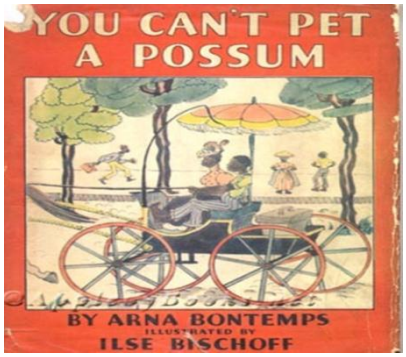

ثم كتب "لا يمكنك تربية الأبقار- You Can't Pet a Possum (١٩٣٤)"، قصة صبي صغير ملون وكلبه في ريف ألاباما. جنبًا إلى جنب مع المؤلف "جيسي جاكسون- Jesse Jackson (١٩٠٨ – ١٩٨٣)"، ومن أعماله "نادن تشارلى- Call Me Charlie" في عام ١٩٤٥ميلاديًا، والمؤلف "لورنزو غراهام- Lorenzo Graham (١٩٠٢- ١٩٨٩)"، مؤلف سلسلة كتب المدينة "مدينة الشمال-North Town" و"مدينة الجنوب- South Town".

ابتداءً من ١٩٧٠ وما بعدها، ظهرت توجهات أدبية واعية ثقافيًا عكست درجاتٍ مختلفة من التقاليد الاجتماعية والثقافية، كان الغرض الرئيس من هذه الكتب هو التحدث إلى الأطفال الأمريكيين من أصلٍ إفريقي عن أنفسهم وحياتهم وأحلامهم.

وعلى سبيل المثال فقد كتبت "باتريشيا ماكيسيك- Patricia McKissack" قصة "ميراندى وأخو الريح- Mirandy and Brother Wind (١٩٨٨)"، عن فتاة تودّ أن تمسك بالريح ليكون شريكها في خطواتها القادمة.

كما قدَّم بعض من المؤلفين خلال هذه الفترة أيضًا تصويرًا دقيقًا تاريخيًا لواقعهم، ولم يكن ذلك بغرض التخويف أو نشر حالة من اليأس عند الأطفال، إنما بغرض التوثيق لصعوبة ذاك الزمن بالنسبة لهم وتسليط الضوء على مقاومتهم وكفاحهم.

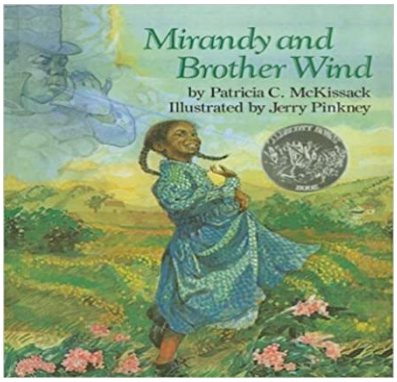

فعلى سبيل المثال تعرض قصة مثل "الصداقة- The Friendship(١٩٨٧)" للمؤلف "ميلدريد تايلور- Mildred Taylor"، تحكى عن موقف بين رجلٍ كبيرٍ في العمر أمريكى من أصلٍ إفريقي مع صاحب متجر ذي

بشرة بيضاء، وما يتعرض له هذا الرجل من تمييز أو عدم قبول من قِبل ذوي البشرة البيضاء من نفس المنطقة التي يقطن فيها.

ومن هنا أصبحت الكتب المُقدَّمة للطفل تمثل قيمة ثقافية واعية لتجارب استثنائية؛ فهم يقدمون أعمالًا ترفيهية ممتعة، ثقافية، وتغرس الفكر الراقي والقيم السامية في التعاملات مع الآخرين من خلال شخصياتٍ تنقل تراثهم وتوثقه، وتعكس تجاربهم الحياتية الواقعية، وترسخ تاريخهم ومعاناتهم، وتقدم حلولاً لمشاكلهم ومواقفهم المتنوعة، وتساعد على التناغم مع العالم الكبير.

سمات الكتابة في أدب الطفل الإفريقي الأمريكي:

كان للمجتمع الإفريقي الأمريكي دورٌ بارزٌ في إثبات ذاتهم وهويتهم وثقافتهم المميزة في الأدب المُقدَّم للطفل من خلال تحدياتهم وإصرارهم على التعبير عن أنفسهم في مؤلفاتهم، وكذلك التعبير عن الطفل الأمريكي من أصلٍ إفريقي في مشاكله وأحلامه ورغبته في رؤية ذاته في الأدب المُقدَّم له.

ساهم عددٌ منهم في تسجيل معاناة شعوبهم في الهجرة والظلم والتمييز العنصرى، لا لإثارة الرعب وإنما لرفع الاضطهاد وتوثيق الأحداث كتاريخٍ للبشرية، ودعوة للتسامح وقبول الآخر، وفرض ذاتهم كإنسان في مجتمع البشرة البيضاء.

كتبوا عن مشاكلهم الاجتماعية ومشاعرهم ورغباتهم وأحلامهم رغم الفقر والنمطية، وكان أهمها لإضفاء الأمل حيث تتغلب الشجاعة والثقة في النفس.

حصل الكثير من كُتابهم على الجوائز الدولية والعالمية وأثبتوا جدارتهم في الحفاظ على هويتهم الثقافية والتعبير عنها وتقديمها للآخرين بالصورة اللائقة.

ونحن هنا بصدد عرض عدد من المؤلفين الأوائل الذين ساهموا بشكلٍ كبيرٍ في أدب الطفل الإفريقي الأمريكي:

١. لوسيل كليفتون- (Lucille Clifton ١٩٣٦-٢٠١٠)، كاتبة وشاعرة، بدأت سلسلة كتب للطفل في السبعينيات من القرن العشرين عن طفلٍ أسود بعنوان "أيام لايفريت أندرسون- Some of the Days of Everett Anderso"، وقد جعلت من شخصية "إيفريت

أندرسون" شخصية محورية متكررة تتحدث باللغة الإنجليزية الأمريكية الإفريقية، وتتعامل مع مشاكل اجتماعية حقيقية.

٢. إلويز غرينفيلد Eloise Greenfield (١٩٢٩)، مؤلفة وشاعرة أمريكية، عُرِفت بأسلوبها الوصفي والإيقاعي والتصوير الإيجابي للعائلات والصداقات في التجربة الأمريكية الإفريقية، كتبت أكثر من ٤٠ كتابًا للأطفال، وأول كتابٍ لها في عام ١٩٧٢ ميلاديًا بعنوان "فقاعات- Bubbles"، تعرض فيه صورًا واقعية للآباء الأمريكيين من أصلٍ إفريقي المحبين الذين يعملون بجد من أجل إعالة أسرهم، والأطفال الذين يواجهون تحديات الحياة بنظرة إيجابية، ومن أقوالها أنها تسعى إلى "اختيار وترتيب الكلمات التي سيحتفل بها الأطفال". كما كتبت روايتها "مارى ماكليود بيتون- Mary McLeod Bethune"، عن امرأة من أصلٍ إفريقي عملت طوال حياتها لجعل العالم مكانًا أفضل، عندما كانت طفلة، كانت تحب القراءة، كامرأة، أحبت أن تدرس، بدأت مدرسة، أسست مستشفى، في كل مكان رأت فيه حاجة بحثت عن حل.

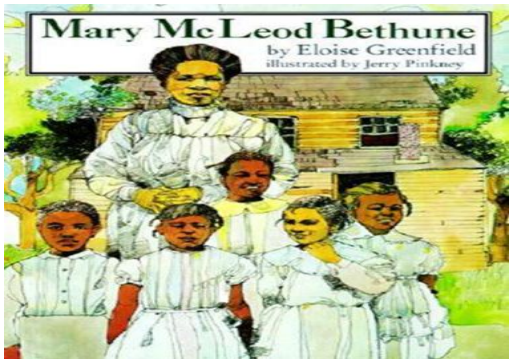

٣. روزا كوثبرت جاي- Rosa Cuthbert Guy (١٩٢٢- ٢٠١٢)، كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في تشجيع الكتّاب الأمريكيين من أصلٍ إفريقي، كان هدفها "تطوير والمساعدة في نشر الأعمال التي كتبها كُتّاب من الشتات الإفريقي"، وحققت نسبة عالية من النجاح، وكانت أول رواياتها للطفل "طائر عند نافذتي- Bird at My

Window" عام ١٩٦٦ ميلاديًا، تقدم فيه امتحان من الحب والألم من خلال علاقة بين أم ذات بشرة سوداء وابنها.

تدور معظم كتب "جاى" حول العلاقة الوطيدة بين أفراد الأسرة والأصدقاء الذين يهتمون ويحبون بعضهم البعض، وتستند ثلاثية رواياتها للشباب: "الأصدقاء" (١٩٧٣)، و"روبي" (١٩٧٦)، و"إديث جاكسون" (١٩٧٨)، إلى تجاربها الشخصية، وكذلك تجارب العديد من الشباب الأمريكيين الأفارقة الذين نشأوا في مدينة نيويورك مع القليل من المال أو بدون دعمٍ أو دعم من العائلة، وتروي روبي قصة فتاة شابة تبحث عن الحب والأصدقاء.

٤. فيرجينيا إستر هاميلتون- Virginia Hamilton (١٩٣٦- ٢٠٠٢)، مؤلفة كتب أطفال أمريكية من أصل إفريقي، في عام ١٩٦٧، تم نشر "زيلي- Zeely" أول كتاب من أكثر من ٤٠ كتاب لها، كما حصلت على جائزة هانز كريستيان أندرسن للكتابة.

٥. شارون بيل ماثيس- Sharon Bell Mathis (١٩٣٧)، بدأت الكتابة في سن مبكرة، ورعى والديها حبها للقراءة، شجعتها والدتها الشاعرة على الكتابة، وعملت أيضًا كأمينة مكتبة، وكتبت كتبًا بشكل رئيس للأطفال والشباب، ومن أعمالها المميزة "فنجان شاى مليء بالزهور- Teacup Full of Roses"، عام ١٩٧٢ ميلاديًا، وصِف بأنه احتفاء بالحياة الأسرية السوداء، وليس بالآباء النمطيين الدائمين، بل بالأطفال الذين يجدون قوتهم في العطاء لبعضهم البعض.

٦. والتر دين مايرز- Walter Dean Myers (١٩٣٧- ٢٠١٤)، كاتبٌ لكتب الأطفال المعروفة بأدب الشباب، قادته طفولة قاسية إلى الكتابة وشجعه معلمو مدرسته في هذه العادة كوسيلة للتعبير عن نفسه، فكتب أكثر من مائة كتابٍ بما في ذلك الكتب المصوَّرة والقصص، كتب والتر أكثر من ألف كتاب للأطفال والشباب خلال مسيرته المهنية في الكتابة التي استمرت خمسة وأربعين عامًا.

ركزت كتابة "مايرز" على تجاربه الصعبة عندما كان مراهقًا، وعمل على إظهار أن القراءة ضرورية في الحياة للمراهقين المضطربين، وعبّر عن احتياجات ومشاكل الشباب الواقعية، ومن رواياته للناشئة "فاست سام، كوكلايد وستاف- Fast Sam, Cool Clyde, and Stuff" علم ١٩٧٢ ميلاديًا، تعلق

بأمر صبي يدعى "ستاف" يكوّن صداقات مع أطفال الحي والمغامرات التي لديهم، الرواية مَرِحة وممتعة رغم أن الأطفال جادون بشكلٍ كبيرٍ في مناقشاتهم حول الجنس والمخدرات، أما روايته "موتون وديدى- Motown and Didi" ١٩٨٤ ميلاديًا، فتحكى علاقة رومانسية بين الشاب موتون وصديقته ديدى.

٧. بريندا ويلكينسوم- Brenda Wilkinsom (١٩٤٦)، كتبت للناشئة بشكلٍ جرئ، وكانت "لودل- Ludell (١٩٧٥)"، هو الكتاب الأول في ثلاثية رائدة عن فتاة أمريكية إفريقية نشأت خلال الخمسينيات في بلدة صغيرة بولاية أمريكية، "لودل" هي المثقفة والكاتبة المزدهرة التي تعشق أفضل صديقاتها، وجدتها المحبة- ولكن الصارمة- وكل شيء يتعلق بالطموح الكبير في مجتمع دافئ جنبًا إلى جنب مع الفقر والظلم.

٨. يوليوس برنارد ليستر (١٩٣٩- ٢٠١٨)، كاتب أمريكي من أصلٍ إفريقي للأطفال والناشئة، وكان مصوّرًا فوتوغرافيًا وموسيقيًا، سجّل ألبومين من الموسيقى الشعبية والأغاني الأصلية الإفريقية.

كان ليستر مهمومًا بقضية الرق وموثقًا لتراثهم الشعبي، ومن كتبه التي تعبر بشكلٍ واضح عن توجهاته المتنوعة للطفل الأمريكي من أصل إفريقي كتاب "أن تكون عبدًا- To Be A Slave (١٩٦٨)"، يستكشف فيه كيف كان العبد، ويحتوي الكتاب على العديد من الروايات الشخصية للعبيد السابقين.

أما الكتاب الآخر فهو "حكايات العم ريموس: مغامرات الأرنب برر- The Tales of Uncle Remus: The Adventures of Brer Rabbit (١٩٨٧)"، وهذه المجموعة مهمة كوسيلة لتعريف القراء على حكايات "هاريس" (١٨٨٠)، كما أنها تعتبر كتابًا منفردًا من الحكايات الشعبية المضحكة الرائعة، على الرغم من ذلك، بالنسبة للعديد من الأصوليين، فإنها لن تحل محل القصص الأصلية.

سمات الرسوم في أدب الطفل الإفريقي الأمريكي:

لم يكن هذا التطور الذي قُدم للطفل الأمريكي من أصلٍ إفريقي على عاتق الأدباء فقط، وإنما شاركهم أيضًا الرسامون الذين عبروا بالصورة عن الأدب المُقدَّم سواء أكان

رواياتٍ أو أشعارًا أو سيرة ذاتية على سبيل المثال، وقدموا فنونًا رائعة لها جمالها وتميزها، مما جعل كلًا من الأدباء والرسامين ينال الجوائز الدولية في مجال أدب الطفل.

بمشاهدة الرسومات التصويرية لهؤلاء الفنانين، نجدهم منذ البداية وقد وضعوا بصماتهم وهويتهم في رسومهم، أهمها: إبراز ملامح وجوههم المميزة وبشرتهم ذات اللون الأسود، عمدوا في كثيرٍ من الحكايت إلى التأكيد على أزيائهم الشعبية ونماذج بيوتهم والأكواخ البدائية والزخارف الجميلة، و الغابات بأنواع أشجارها المميزة والحيوانات بكافة أنواعها الجذابة.

ونحن هنا بصدد عرض عدد من الرسامين المميزين في أدب الطفل الإفريقي الأمريكي وتحليل لبعضٍ من رسوماتهم:

١. آشلي بريان- Ashley Bryan (١٩٢٣)، لم ينشر "بريان" حتى بلغ الأربعين من عمره، في عام ١٩٦٢ ميلاديًا، كان أول أمريكي من أصلٍ إفريقي ينشر كتابًا للأطفال كمؤلف ورسام، عمل على

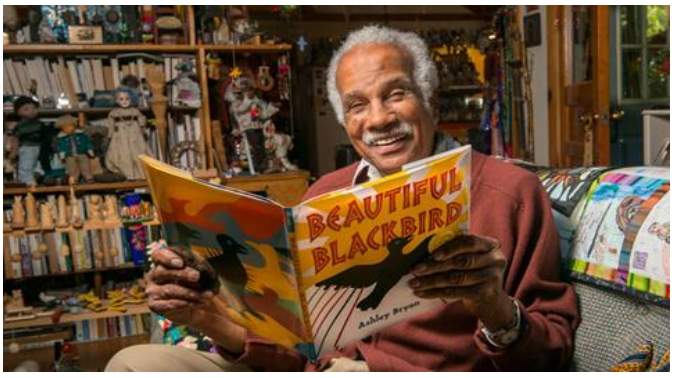

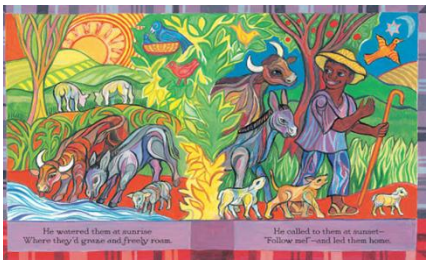

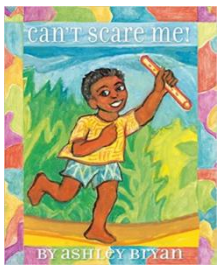

حوالي ٥٠ كتابًا منذ ذلك الوقت، وتم ترشيحه في عام ٢٠٠٦ ميلاديًا لجائزة البينالي العالمية، جائزة هانز كريستيان أندرسن، وهي أعلى تقدير لمبدعي كتب الأطفال. كما تم إنشاء سلسلة "Ashley Bryan Art" في مكتبة البحوث الأمريكية الإفريقية والمركز الثقافي التابع لمكتبة مقاطعة برورارد في عام ٢٠٠٢ ميلاديًا.

٢. توم فيلينجز- Tom Feelings (١٩٣٣- ٢٠٠٣)، وهو كاتبٌ ورسام أيضًا، وتعتبر أشهر رواياته التي كتبها ورسمها "الممر الأوسط: سفن بيضاء/حمولة سوداء- The Middle Passage: White Ships/Black Cargo (١٩٩٥)"، ركزت الرواية

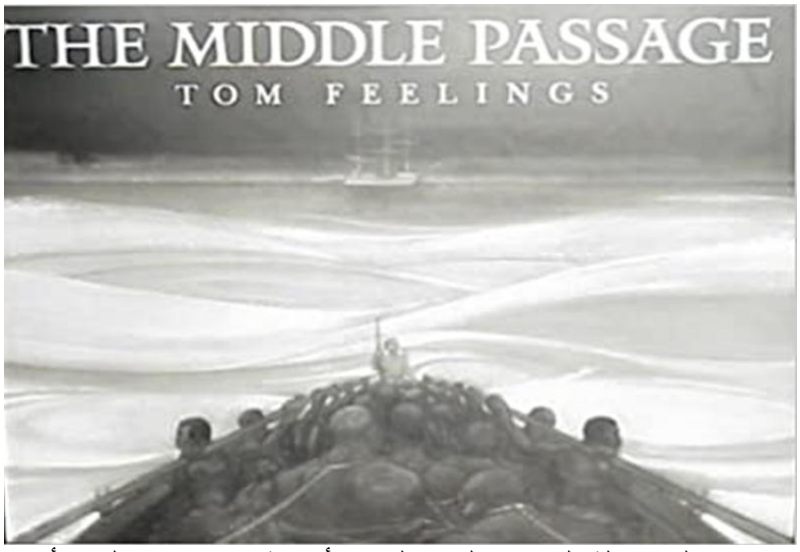

على الانتباه إلى رحلة التعذيب التي جلبت الأفارقة من إفريقيا إلى الأمريكتين، مما سمح للقراء بالشهادة على معاناة شعب بأكمله، وبينما نستوعب رعب هذه الصور، إلا أننا نجد الأمل فيها، ففيها تكريمٌ لبقاء الروح البشرية، والإنسانية التي فاز بها الناجون.

ويعتبر "توم فيلينجز" أول أمريكى من أصلٍ إفريقي يكتب ويرسم الشرائط الهزلية (الكوميكس)، وذلك من خلال مغامرات "الرحالة تومي – Tommy Traveler"، وهى مغامرات أحلام الشاب الأسود "تومى" الجوال في مدينة نيويورك في عام ١٩٥٨ ميلاديًا، معبرًا عن الأبطال السود البارزين، وتم إصدار هذه المادة في شكل كتابٍ عام ١٩٩١ ميلاديًا.

٣. جيري بينكني- Jerry Pinkney (١٩٣٩)، رسامٌ وكاتب أمريكي لكتب الأطفال، رسم أكثر من ١٠٠ كتابٍ منذ عام ١٩٦٤ ميلاديًا، بما في ذلك الكتب المصوَّرة والعناوين والروايات الواقعية، وتنوعت أعماله بين الواقعية والخرافة والمتعة.

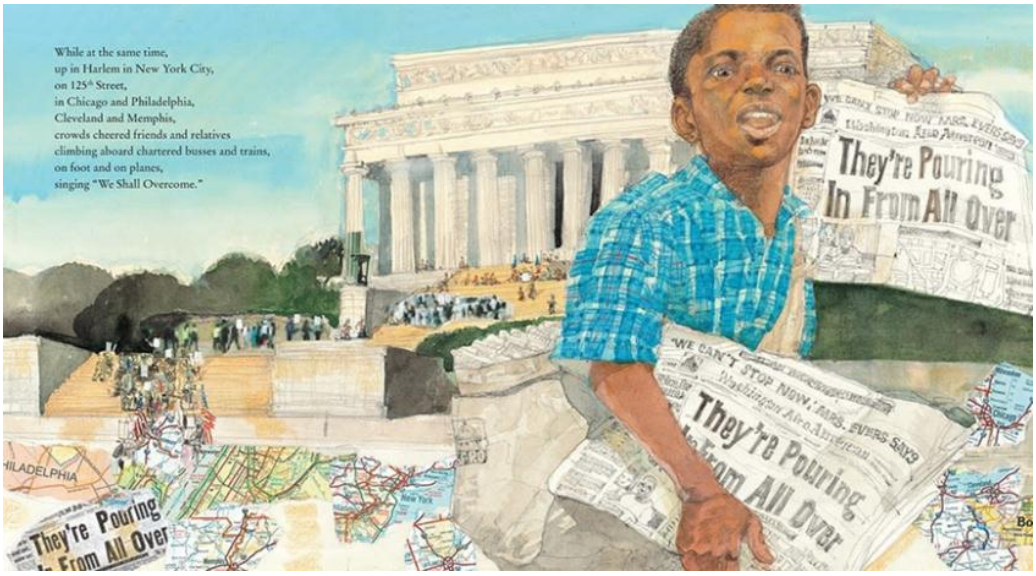

رسم للناشئة رواية بعنوان "مكان إلى الوطن: مارتن لوثر كينج والخطاب الذي ألهم أمة- A Place to Land: Martin Luther King Jr. and the Speech That Inspired a Nation"، رواية واقعية للكاتب "بارى ويتنشتاين- Barry Wittenstein"، عن خطاب الزعيم الإفريقي وما أتبعه من أحلامٍ وطموح لمجتمعه الأمريكي من أصلٍ إفريقي.

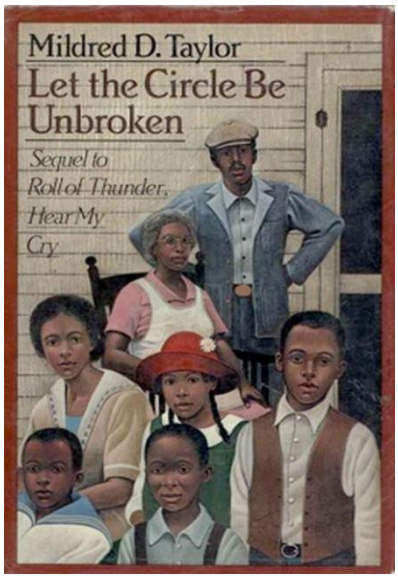

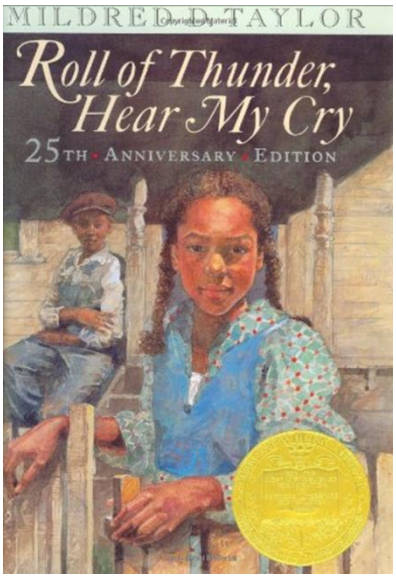

كما رسم أغلفة روايات " قصف الرعد، واسمع بكائى- Roll of Thunder, Hear My Cry (١٩٧٥)" و"لنتواصل دائمًا - Let The Circle Be Unbroken (١٩٧٦)" للكاتبة الأمريكية من أصلٍ إفريقي "ميلدريد تايلور- Mildred Taylo (١٩٤٣)".

وأخيرًا، فإن الكتب المصوَّرة في أدب الأطفال الإفريقي الأمريكي نجحت في التقاط قوة التجربة السوداء وعمقها وروعتها ، مما أعطى للأطفال القدرة على التواصل والتفاعل والحب لثقافتهم الخاصة وإرثهم الكبير وتاريخهم النابض بالروح والأمل والفن والمتعة والإثارة.

المراجع:

- Barbara Rollack, **Black Authors & Illustrators of Children's Books: A Biographical Dictionary**, Garland Publishing, United States, ١٩٩٢.
- Helen E. Williams, **African-American Authors and Illustrators for Children and Young Adults**, American Library Association, Chicago, IL, United States, ١٩٩٢.
- Rollock, B., ed. **The Black Experience in Children's Books**. New TOik: New
- York Public Library, ١٩٧٤ and ١٩٧٩.
- Rudine Sims Bishop**, Shadow and substance: Afro-American experience in contemporary children's fiction**, National Council of Teachers of English in Urbana, Ill.١٩٨٢.
- www.**Wikipidia**.com